أما البروليتاريا الصناعية، فلم يكن حجمها كبيرا بحكم الواقع الاقتصادي في تلك الفترة. فالحرف والصناعات كانت موجودة في الريف ومرتبطة بالزراعة وذات طابع تحويلي في الأساس. وقد ساد الطابع الأسري على كثير من الحرف؛ حيث لم يكن أصحابها يشغلون عمالا بقدر ما كانوا يعتمدون على جهود أبناء العائلة بمن فيهم النساء. ورغم أن بذور العلاقات الرأسمالية كانت قد بدأت تظهر في الريف الزراعي، الا أن غياب التمركز الصناعي، والدور الجنيني الذي كانت تمر به الرأسمالية المحلية، كانعكاس لضعف الصناعة بشكل عام، ساعدا على تأخر ظهور الطبقة العاملة الفلسطينية، التي كانت تفتقر الى الوحدات الانتاجية الكبيرة والمشاريع العامة وتوجيه الاستثمار نحو هذه الوحدات والمشاريع حتى تتوسع قاعدتها وتبرز من خلال تمركزها كقوة اجتماعية واضحة. ويمكن القول ان المحاربة المستمرة من قبل الاقطاعيين لتطور الرأسمالية المحلية، ولظهور صناعات وطنية لعبت دورا في تأخير تشكل وظهور الطبقة العاملة الفلسطينية؛ وذلك لأن ظهور هذه الصناعات كان سيفتح أمام الفلاح مجالا لاستخدام قوة عمله، مما يفقد الاقطاعيين امكانية الاستمرار في استغلاله[٣]. وقد دفعهم هذا الموقف في حالات عديدة الى محاربة الرأسمالية المحلية والجماهير الكادحة معا، مما ساعد على إضعاف قوة برجوازية المدن وضعف تأثيرها ونفوذها العام، اضافة الى أن واقع سكان المدن، في تلك الفترة، لم يكن يساعد على تقوية دور ونفوذ هذه الطبقة في الحياة العامة والسياسية، حيث كانت غالبية سكان المدن من العرب تعمل في التجارة والصناعات اليدوية والزراعية البسيطة، في حين التحق فريق منهم بالوظائف الحكومية. أما اليهود، فقد عملوا بالتحديد كمهنيين وفنيين مهرة، وأبدعوا في الصياغة والحدادة والخياطة وإصلاح الساعات وتجليد الكتب، واحتكروا الأعمال الصيرفية والمصرفية[٤].

مقابل ذلك كان التوزيع الديمغرافي للسكان في فلسطين يميل بشكل كاسح لمصلحة العرب. فقد أظهر احصاء عام ١٩٢٢ ان عدد السكان العرب كان ٦٦٠٦٤١ نسمة، في حين بلغ عدد السكان اليهود ٨٣٧٩٠ نسمة فقط[٥]. وعندما نعلم أن معدل الهجرة اليهودية إلى فلسطين بلغ، بين سنة ١٩٠٤ وسنة ١٩١٨، ما يقارب ٣٥٠٠٠ الى ٤٠٠٠٠ يهودي، وان قسما كبيرا منهم عاد في السنين الأولى من الهجرة[٦]، وعندما نعلم أيضا، أن الحرب العالمية الاولى أدت الى خفض عدد سكان فلسطين من ٨٥٠٠٠ يهودي الى ٥٦٠٠٠ يهودي[*][٧]، ندرك عند ذلك بأن هذا التوزيع كان أكثر اتجاها لمصلحة العرب كلما عدنا أكثر إلى الخلف.

أما النشاط الاقتصادي لتلك الفترة، فقد تجلى بشكل خاص بسيطرة القطاع الزراعي على الاقتصاد، مع وجود بعض الصناعات الخفيفة المختلفة التي نمت وترعرعت مع الانتداب البريطاني وبعده؛ حيث أخذت اتجاها صاعدا بحكم ظروف الانتداب وبحكم التوجهات العامة للسياسة الصهيونية. ويمكن القول انه الى جانب زراعة البرتقال

---

* يورد الدكتور اميل توما أرقاما تختلف بعض الشيء عن عدد السكان اليهود في فلسطين قبل وأثناء نهاية الحرب العالمية الاولى، حيث يقول إن عددهم عشية الحرب كان ٨٠٠٠٠ نسمة وانخفض في نهايتها إلى ٦٥٠٠٠ نسمة، راجع جذور القضية الفلسطينية، بيروت، مركز الأبحاث، ١٩٧٣، ص٦٥.